الفصل الثالث

التفسير

١ـ التفسير وعلوم القرآن:

أ- علوم القرآن والتفسير:

وبعد أن ثبت القرآن تدوينا وقراءة أصبح منطق النقل الشفاهى وعلم القراءات ومنطق النقل الكتابى من العلوم القديمة التى أدت غايتها. ولن يتقدم أحد بإعادة النظر فى نتائجها وتقديم قراءة شفاهية جديدة أو نقلا كتابيا جديدا. ما يبقى إذن هو علم التفسير الذى يتطور بتطور كل عصر. ما يمكن هو التفسير أى فهم النص. والفهم مرتبط بظروف المعرفة فى كل عصر.

بعد الألفاظ والمعانى وأساليب البلاغة يأتى التفسير وهو ضم اللفظ والمعنى فى الذهن، والتحول من المنظوم والمفهوم إلى المعقول بلغة الأصوليين[١].

ونظرا لشدة الارتباط بين علوم القرآن وعلم التفسير كان «الإتقان» كان فى الأصل مقدمة لتفسير السيوطى، «مجمع البحرين ومطلع البدرين» كما كان علم أصول الفقه مقدمة لبعض كتب الفقه. وصنف كتابا آخر «التحبير فى علوم التفسير»[٢]. وهو أقرب إلى التفسير بالمأثور منه إلى التفسير بالمعقول.

---

(١) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص٢٤٧-٤٤١.
(٢) الإتقان جـ١/ ٦-٨.

ب- التأليف فى الموضوع:

أ- «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة(٢٧٦هـ)[١]

يعرض للحامل اللغوى، النحو والبلاغة دفاعا عن القرآن العربى مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار. ويركز على مباحث الألفاظ، الحروف والأفعال. يتكون من خمسة عشر بابا. العشرة الأولى مجملة فى النحو والبلاغة وخصوصية العرب فى البيان والمجاز والاستعارة والمقلوب والحذف والاختصار والكناية والتعريض، والرد على وجوه القراءات، والتناقض والاختلاف والمتشابه[٢]. وأكبر الفصول تأويل الحروف التى ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم. وتعرض الحروف فى سورة سورة وآية آية[٣]. وتعرض الألفاظ طبقا لجدل اللفظ والمعنى، لفظ واحد، ومعايير متعددة. ويضرب المثل بأربعة وأربعين لفظا[٤]. وهناك حروف مثل الأفعال لا تنصرف[٥]. وتدخل حروف الصفات مكان بعض[٦]. ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث، والقرآن بالشعر والأزجال والأمثال العربية وعادات العرب فى الكلام وهو الأكثر. والشعر يتجاوز قسمة التاريخ إلى عصرين، جاهلى وإسلامى. والاستشهاد بالشعر الجاهلى أكثر طبقا للقول المأثور «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم». وقد يحال إلى طرق فهم التوراة والإنجيل وتفسيرها. فالموضوع اللغوى والبلاغى يقود إلى التفسير[٧]. وقد يختلف كل عصر عن العصر السابق فى إحساساته بالآية لغويا وبلاغيا عند القدماء، واجتماعيا وسياسيا عند المحدثين مثل تفسير آية (وبئر معطلة وقصر مشيد)[٨].

---

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى: تأويل مشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) السابق ص١٧-١٨١.

(٣) السابق ص١٨٢-٢٤٦.

(٤) السابق ص٢٧٨-٢٩٧.

(٥) السابق ص٢٩٨-٣٠٩.

(٦) أمثال العرب، السابق ص٦١-١٤١/ ١٦٧/ ٢٥٨. عادة العرب، السابق ص٦٩/ ٨٦/ ٨٨/ ٩٣/ ٩٧/ ٩/ ٩/ ١٠٣/ ١١٣/ ١٣٠/ ١٤٢/ ١٧٨/ ١٨٠/ ٢٧١/ ٣٠٠/ ٣٠٦.

(٧) السابق ص٦٩-٧٠.

(٨) الساق ص١٥.

ب- «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار(٤١٥هـ)

وهو مؤلف بين علم الكلام وعلوم القرآن. يتم فيه الدفاع عن القرآن وتبرئته عن المطاعن. وهى التناقض بين الآيات فى العقائد أو الشرائع، بين التشبيه والتنزيه، بين الرحمة والعدل، بين الكسب وخلق الأفعال، بين الإيمان والعمل. وعلى هذا النحو هو أقرب إلى علم الكلام منه إلى علوم القرآن لأنه يتعامل مع الموضوع وليس مع النص، مع المحمول وليس مع الحامل. لا تهمه الصحة التاريخية فى القراءة والتدوين بل التفسير والتأويل. لذلك يدخل أيضا فى موضوع التفسير. وهو أحد جوانب علوم القرآن قبل أن يستقل بنفسه ويصبح علما. وهو أيضا أحد أبواب علوم القرآن فى الآيات المبهمات. ويفسر القرآن بالقرآن. ونادرا ما يذكر الحديث أو الشعر. كتب بطريقة المسألة والرد عليها. وليس له تبويب نظرى مستقل توضع فيها هذه المطاعن بل تستعرض سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة والبقرة حتى المعوذتين. وتكثر المسائل فى السور الطوال. ويقل العدد فى السور الصغار. دون تبويب موضوعى عرضى للمطاعن يخترق السور[1]. وهو من آثار كتب التفسير التى تتبع المنهج الطولى وليس المنهج العرضى، المنهج النصى وليس المنهج الموضوعى[2].

هو نوع من الدفاع عن القرآن أسوة بمنهج الجدل عند المتكلمين، الذب عن الإسلام ودحض أباطيل خصومه. فهو بين علم الكلام وعلوم القرآن، وإن كان إلى علم الكلام أقرب. ولفظ «تنزيه» لفظ اعتزالى. تنزيه القرآن عن المطاعن مثل تنزيه الله عن التجسيم والتشبيه. ولا فرق بين المعتزلة والأشاعرة فى الدفاع. فكلهم متكلمون.

والمطاعن فى العقائد والمعانى وليس فى النصوص والصحة التاريخية، فى الرواية والجمع والقراءة والتدوين. وقد كتب بطريق السؤال والجواب، المسألة والرد عليها دون ترقيم للمسائل بطريقة «قيل»، «قالوا». وهو أقرب إلى التفسير، تفسير القرآن بالقرآن. وتفسير القرآن بالحديث أو الشعر لا يأتى إلا نادرا. والكتاب خال من التبويب.

---

(١) أكثر المسائل فى البركة(٩٢) وفى الناس(١).

(٢)

Method of The thematic interpretation، Islam in the modern world، I،pp 484509-

ويقتصر على ذكر المطاعن سورة سورة، وآية آية كما هو الحال فى التفسير الطولى. وفى حاجة إلى إعادة تبويب طبقا لموضوعات المطاعن كما هو الحال فى التفسير العرضى أو الموضوعى للقرآن. لذلك وقع فى الجزئيات دون الكليات، وفى الرد المتناثر دون تجميع مجموع الردود فى أصول عامة حتى لا تتكرر. لذلك سادت الرتابة، وتكرار النمط، والسير الحثيث وراء كل سورة وآية دون استدراك، عودا على بدء[1].

جـ- «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الأسكافى(٤٢٠هـ)[2]

وهو عرض لقضية الآيات المتشابهات كما يوحى بذلك العنوان الفرعى أو لموضوع التكرار فى القرآن، أحد موضوعات علوم القرآن[3]. التنزيل متشابه ومتكرر فى حاجة إلى فهم وتأويل لدرء التشابه والتكرار. وهو أقرب إلى تفسير المعانى مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار(٤١٥). يجمع بين آيتين متشابهتين أو أكثر بعد ذكر أول آية لرفع التناقض بين الآيات خاصة إذا تشابهت لفظا وعبارة لدرجة التكرار دون أى تفرد فى الصياغة أو فى ظلال المعنى. وهو قريب من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لتجميع الآيات المتشابهة حول موضوع واحد.

وقد يكون التكرار ظاهريا ولكنه فى الحقيقة ليس تطابقا كاملا فى الألفاظ أو فى المعانى. إذ تتعدد الصياغات اللغوية لمنع الرقابة والتكرار الكمى. ولكل صيغة ظلال من المعنى للتركيز عليه والإيحاء به. وتختلف طبائع الناس. وتحتاج إلى مؤثرات لفظية متعددة طبقا لتأثير كل منها. كما أنها تسمح بحرية الفهم والتعددية فى اقتناص المعانى.

ويخلو الكتاب من التبويب الموضوعى إلى فصول. بل يتم استعراض الآيات المتشابهة سورة وراء سورة، وآية بعد آية طبقا لترتيب المصحف وليس أسباب النزول. وهو امتداد لمنهج التفسير الطولى عند الطبرى وابن كثير والزمخشرى. ويختلف عدد

---

(١) قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد(إملاء): تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة.

(٢) السابق ص٥٣٦.

(٣) الخطيب الإسكافى: درة التنزيل وغرة التأويل، فى بيان الآيات المتشابهات فى كتاب الله العزيز برواية أبى الفرج الاردستانى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

الآيات المتشابهة فى كل سورة طبقا لطولها وقصرها مع بعض الاستثناءات[1]. وهناك سور تخلو من الآيات المتشابهة مثل بعض السور القصار لأنه لا توجد مساحة تعبيرية للتكرار. كما أن وضوح المعنى وتركيزه وتوجيهه إلى الذهن والشعور والعمل لا يحتاج إلى شرح أو إسهاب أو تعددية نظرية[2]. كما يتم التخفيف. ويفسر القرآن بالقرآن أولا. القرآن يفسر بعضه. ثم يعتمد على الشعر ثانيا[3]. ويقل الحديث للغاية لدرجة الغياب المطلق. والسؤال هو: إذا كانت هذه مشاكل القدماء، حل المتشابهات وفهم التكرار، ورفع المتناقضات. فإن مشاكلنا فهم الواقع والدخول فى تناقضاته.

د- «مسائل منثورة فى التفسير والعربية والمعانى» لابن برى(٥٨٢هـ)[4]

وهى كما يدل العنوان مجرد مسائل منثورة تتضمن إجابات لغوية ونحوية. تدور كلها حول الإعراب والقراءات. تخلو من أى تحليلات نظرية فى المقدمة أو الخاتمة. ويتضح عدم بروز موضوع التفسير كموضوع مستقل داخل علوم القرآن نظرا لارتباطه بالقراءات والتدوين[5].

هـ- «ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل» لابن الزبير الغرناطى(٧٠٨هـ)[6]

---

(١) الأعراف(٢٩)، البقرة(٢٣)، الأنعام(١٩)، هود(١١)، العنكبوت(٩)، النحل(٨)، آل عمران، المائدة، براءة(٧)، الكهف، الأنبياء، فصلت(٦)، النساء، الحج، المؤمنون، الزمر(٥)، يونس، يوسف، الشعراء، الروم(٤)، السجدة، الصافات، الشورى، الزخرف، الفتح(٣)، الأنفال، الحجر، الإسراء، مريم، النور، الفرقان، النمل، القصص، سبأ، يس، ص، ق، الذاريات، الرحمن، الحشر، التغابن، المدثر، القيامة، النبأ، التكوير، المطففين، الانشقاق، البلد(٢)، الرعد، إبراهيم، لقمان، فاطر، الطور، القمر، الواقعة، المجادلة، الممتحنة، الصف، المنافقون، الطلاق، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الإنسان، المرسلات، النازعات، الشرح، العلق، التكاثر، الكافرون، الناس(١).

(٢) الأحزاب، الدخان، الأحقاف، محمد، الحجرات، الجمعة، التحريم، الجن، المزمل، عبس، الانفطار، الطارق إلى الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين.

(٣) الأشعار(١٣).

(٤) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص١٣-٣١.

(٥) مسألة (٣٣)، سؤال(٦).

(٦) الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى الغرناطى: ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل

بالرغم من أن التفسير هو الموضوع الآخر فى علوم القرآن فى الحوامل الذاتية بعد اللفظ والمعنى وأساليب البلاغة إلا أنه أصبح موضوعا مستقلا بعد ذلك فى التفاسير الطولية الكبرى التى تبدأ من الفاتحة حتى الناس. أما التفسير الجزئى لشرح الألفاظ فإنه أدخل فى علوم القرآن. ويتضح من العنوان التحول من التفسير إلى التأويل أى من ضبط المعنى عن طريق شرح الألفاظ إلى تعدد المعنى عن طريق التأويل. كما تتضح بداية الدخول فى المعارك الكلامية والدفاع عن العقيدة ضد الإلحاد والتعطيل وهو الاتهام الموجه إلى المعتزلة بإنكار الصفات. والسبب فى ذلك تشابه الألفاظ فى التنزيل. فالتفسير له جانبان: التأويل والتنزيل، الذات والموضوع.

وطريقة العرض السؤال والجواب، سورة سورة وبعض الآيات المختارة داخل كل سورة. تتضح فيها بداية الجدل. والاعتماد على الشعر النسق البلاغى الأول قبل القرآن.

و- «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزى الكلبى(٧٤١هـ)[١]

لم يعد «التنزيل» يعنى أسباب النزول بل «التفسير». وما زال موضوعا من علوم القرآن كما تكشف عن ذلك المقدمة. فالغرض جمع أكبر قدر ممكن من العلم فى أقل حجم، وذكر بعض النكت العجيبة فى الموضوع فى هذا الوقت المتأخر، القرن الثامن، المولع بالغرائب، وإيضاح المشكلات وبيان المجملات، والتحقق من أقوال المفسرين، الصحيح منها والسقيم[٢]. وفى مقدمة ثانية يتم التعرض إلى علوم القرآن من جديد مما يدل على أن علوم التنزيل مازالت جزءا منها. فقد نزل القرآن على الرسول فى مكة والمدينة. وتضمن معانى وعلوما فى العقائد والتشريعات والقصص وعلوم القرآن ذاتها. ووقع خلاف بين المفسرين. والبعض الآخر لم يشأ أن يدلى فى القرآن برأيه. ويبرز الناسخ

فى توجيه المتشابه اللفظ من آى التنزيل، وضع حواشيه عبد الغنى محمد على الفاسى(جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

(١) الشيخ الإمام العلامة المفسر أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزى الكلبى: التسهيل لعلوم التنزيل. ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم(جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) السابق ص٣-٥.

والمنسوخ باعتباره علما، وكذلك علم القراءة المشهورة والشاذة والوقف والابتداء، والفصاحة والبلاغة والبيان، وإعجاز القرآن وفضل القرآن، تعلما وتعليما[1]. ثم تأتى مقدمة ثانية فى تفسير معنى اللغات مرتبة طبقا للترتيب الأبجدى، أشبه بقاموس لشرح ألفاظ القرآن[2]. ثم يبدأ بعد ذلك تفسير التنزيل، سورة سورة، وآية آية اعتمادا على التفسيرات الكبرى السابقة.

٢- التفسير والتأويل:

التفسير هو البيان والكشف من السفر أى الضوء. هو كشف المغلق وإطلاق المحتبس، وفى الاصطلاح هو علم نزول الآية، سورتها وأقاصيصها، إشارتها وترتيبها، محكمها ومتشابهها، ناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر طبقا لمباحث الألفاظ . وقد يزداد الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والأمر والنهى، والعبر والأمثال[3].

هل المعنى هو القصد والمراد أم الشىء؟ قد يجمع القصد بين الاثنين[4]. أعنى تعنى أقصد. وهو مشتق من الإظهار مثل عنوان الكتاب أو عنت القربة إذا أظهرت الماء، وعنت الأرض أى أنبتت. لذلك فسر البعض معانى القرآن[5].

وهناك ثلاثة دوافع وراء الحاجة إلى التفسير[6]. الأول كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز. والثانى إغفال بعض تتمات المسائل أو شروطها. ويحتاج الشارح لبيان المحذوف. والثالث احتمال اللفظ لمعانى مثل المجاز والإشراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه. والتفسير علم شريف من ثلاث جهات: الموضوع وهو الوحى كلام الله، والغاية والفرض أو شدة الحاجة[7].

---

(١) السابق ص٦-٢٠.
(٢) السابق ص٢١-٣٩.
(٣) البرهان جـ٢/ ١٤٨-٥٢.
(٤) السابق جـ٢/ ١٤٦.
(٥) مثل الزجاج فى «معانى القرآن» والواحدى والفراء وابن الانبارى. السابق جـ٢/ ١٤٦-١٤٧.
(٦) الإتقان جـ٤/ ١٧٠-١٧١.
(٧) السابق جـ٤/ ١٧١-١٧٣.

والتفسير أعم من التأويل. التفسير للألفاظ، والتأويل للمعانى، والرؤيا التفسير لكل النصوص. التأويل خاص بالكتب المقدسة. والتفسير لغريب الألفاظ . والتأويل قد يكون لمألوفها. التفسير للألفاظ ، والتأويل للمعانى. التفسير يتعلق بنطق الألفاظ، والتأويل بالمعانى، والفهم للأشياء بناء على مستويات اللغة الثلاثة: اللفظ والمعنى والشىء[1]. التفسير بيان لفظ له احتمال واحد، والتأويل لفظ له معان مختلفة طبقا للأدلة، صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ومتفق مع الكتاب والسنة عن طريق الاستنباط. التفسير للظاهر، والتأويل للباطن. التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر. التفسير يتعلق بالدراية، والتأويل بالدارين. التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والتأويل مقصور على الاستنباط والاجتهاد[2].

التأويل من «أول» أى الرجوع إلى المصدر الأول. وقد يعنى النقيض أى المآل والمصير والذهاب إلى الآخر. وقد يكون من الأيالة أى السياسة، سياسة الكلام وتوضيح معانيه[3]. والتأويل نوعان: منقاد ومستكره[4]. الأول ما لا تقع فيه بشاعة أو يحدث فيه استقباح. وقد يقع فيه خلاف بين الأئمة إما لاشتراك اللفظ أو لأمر راجع إلى النظم أو لغموض المعنى. والثانى هو البشع إما لتخصيص لفظ أو لتلفيق بين اثنين أو ما يحدث فيه من استعارة أو اشتقاق بعيد. ولا يوجد تأويل مخالف أو متفق مع الشرع محظور أو مباح، عالم أو جاهل بل التأويل مطابقة معنى النص مع تجربة ذاتية للفرد أو الجماعة. فالخلاف فى مدى اتساع التجربة الذاتية وصدقها فردية أو مشتركة، مصلحة خاصة أم مصالح عامة[5].

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٦٧-١٧٣، البرهان جـ٢/ ١٤٦-٢١٦.
(٢) من النقل إلى الإبداع مجـ١ النقل جـ٣ الشرح ص٩-٣٢، تأويل الظاهريات ص١٤٥-١٦٣.
(٣) البرهان جـ٢/ ١٤٨-١٤٩.
(٤) السابق جـ٢/ ١٧٨-١٨٠.
(٥) السابق جـ٢/ ١٥٢-١٥٣.

٣- الأدوات، والأسماء، والأفعال، والأزمان:

أ- الأدوات:

والمفردات من الأدوات والبحث عن معانى الحروف مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها[١]. وهى أمور تفصيلية، حوالى مائة أداة فى حاجة إلى إعادة تصنيف وتجميع. مثال ذلك استعمال «على» و«فى»[٢].

و«معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر» من حروف وأسماء وأفعال والظروف بين الألفاظ لأنها كذلك والمعانى لأنها تفيد معنى والتفسير لأنها تساعد المفسر على ضبط المعانى[٣]. وهى من أكبر الأنواع حجما مما يدل على أهميتها. وتدخل أيضا فى الأسلوب والنواحى البلاغية. ويذكر منها مائة وعشر أدوات وحروف وأسماء وأفعال وظروف. ويمكن توزيعها أيضا طبقا لحوامل اللغة، الزمان والمكان أو التعبير عن حالات الشعور أو منطق الحوار[٤]. ولا تحدد هذه المعانى المتعددة سلفا بمنطق اللفظ وحده بل فى الموقف النفسى والاجتماعى للقارئ والمفسر، طبقا للحالة النفسية ومستوى التعليم والثقافة. فهى معانٍ بعدية وليست قبلية، تجريبية وليست عقلية[٥]. ولا تهم التحليلات الجزئية للأدوات ورصد اختلافات علماء العصر كسيبويه والفراء والكسائى أو استعمالات المفسرين كالزمخشرى بل الدلالات العامة لها مع تعدديتها[٦].

ب- الأسماء:

وقد يكون الاسم فى صيغة فعلية من «أن» والفعل ليذكر بأن الفعل أصل الاسم[٧].

---

(١) السابق جـ٤/ ١٧٥-٤٤٦. مثل (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين).

(٢) السابق ص١٧٥-١٧٧.

(٣) الإتقان جـ٢/ ١٤٠-٢٥٩.

(٤) السابق ص١٤٠-١٤١.

(٥) وهو ما يسمى فى العلوم الاجتماعية فى الغرب الحديث اللسانيات النفسية Psycho-Linguistics أو اللسانيات الاجتماعية Socio-Linguistics.

(٦) «ها قد أثبت على شرح معانى الأدوات الموقعة فى القرآن على وجه موجز مفيد محصّل للمقصود منه. ولم أبسطه لأن محل البسط والإطناب إنما هو تصانيفنا فى فن العربية وكتبنا النحوية. والمقصود فى جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول، لا استيعاب الفروع والجزئيات»، الإتقان جـ٢/ ٢٥٩.

(٧) السابق جـ٢/ ١٧٠-١٧٣.

و«ذو» أو«ذوات» اسم بمعنى صاحب لوصف الذوات بأسماء الأجناس[1]. و«الذى» و«سواء» تعنى السوية والمساواة[2]. و«غير» اسم للإضافة والإبهام بين ضدين. وقد تفيد الاستثناء والبدل أو النفى[3]. و«كل» تفيد الاستغراق والإحاطة، نعتا أو توكيدا أو مضافة. وقد تتصل بها المصدرية للتكرار[4]. وهى مشتقة من لفظ «الإكليل» و«الكلالة» أى الإحاطة بالشىء. أو انضمام الذوات المفيد للاستغراق. ويلازم الأسماء ولا يدخل على الأفعال، لازم المعنى وليس للفظ. ويضاف إلى الجمع المعرف والجنس والنكرة المفردة. وتحصل لها ثلاثة أحوال: مؤكدة، ومبتدأ بها مضافة، ومقطوعة عن الإضافة. وتوضع لألفاظ التذكير إضافة إلى نكرة أو إلى معرفة أو تقطع عن الإضافة لفظا. وتتصل «ما» بكل فى «كلما». وهى مصدرية تفيد ظرف الزمان أى كل وقت. ويأتى «كل» صفة.

و«كلا» و«كلتا» يفيدان التثنية فى الجمع[5]. وبهما معنى الإحاطة. وتفيد ألف لام التعريف. وهو ما يفيد فى تحليل المضمون ودلالة الفكرة والمعرفة[6]. ويشمل التعريف الاستغراق. وتضاف إلى «إله» لتصبح «الله». وتكون نيابة عن الضمير فى التعريف.

وتدل بعض الأسماء على درجات التفضيل مثل «أحد». فهو أقوى من واحد. الأحد ينفى دون غيره فى حين أن الواحد لا ينفى غيره. هناك الواحد الرياضى والواحد الميتافيزيقى والواحد الطبيعى، «الأحد» هو المتفرد بالوحدانية. وهو الأول. له جمع وهو الآحاد فى حين أن الواحد ليس له جمع. ولا يدخل الأحد فى الضرب. ويستعمل فى النفى والإثبات. ويستعمل وصفا مطلقا لله[7]. وهناك أفعال لا تطلق إلا على الله

(١) السابق ص١٩٥-١٩٦، البرهان جـ٤/ ٢٧٧-٢٧٩.
(٢) الإتقان جـ٢/ ١٩٨-١٩٩.
(٣) السابق ص٢٠٨-٢٠٩.
(٤) السابق ص٢١٨-٢٢١، البرهان جـ٤/ ٣١٧-٣٢٥.
(٥) البرهان جـ٤/ ٣٢٦-٣٢٧.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٥٦-١٥٨.
(٧) الإتقان جـ٢/ ١٤٣-١٤٤.

مثل «تبارك»، «تعالى»[1]. و«ما شاء» اسم يعنى التنزيه[2]. و«سبحان» للتسبيح[3].

و«ما» على اثنى عشر وجها، ستة أسماء، وستة حروف[4]. الاسمية ضربان: معرفة ونكرة. والنكرة ضربان: الأول يلزم الصفة، والثانى لا يلزمه. وما يلزمه استفهامية وشرطية وتعجب. الأول أسماء خبرية وهى الموصولة، بها تذكير وتأنيث، وإفراد وتثنية وجمع. والثانية شرطية ولها صدر الكلام، وبعدها فعل. والثالثة استفهامية بمعنى أى شىء. والرابع تعجبية. والخامس نكرة يلزمها النعت. والسادس نكرة بغير صفة ولا صلة. والحرفية ستة. الأول نافية ولها صدر الكلام. والثانية مصدرية، وقتية نائب عن ظرف الزمان وغير وقتية تقدر مع الفعل. والثالث كافة للعامل عن عمله. والرابع المسلطة تجعل اللفظ متسلطا بالعمل والخامس مغيّرة للحرف عن حالة. والسادس مؤكد للفظ. ويسمى صلة أو زائد.

و«منْ» لا تكون إلا اسما فاعلة ومفعولة، مبتدأ وهى أربعة أقسام: موصولة واستفهامية، وشرطية، ونكرة موصوفة[5]. «من» للعاقل، و«ما» لغير العاقل.

جـ- الأفعال:

جعل، فعل، لازم أو متعدٍ يفيد التكوين وتصيير الشىء على حالة دون حالة، والحكم على الشىء[6]. ويفيد «كان» الزمان الماضى والتوكيد والقدرة. وتأتى بمعنى «ينبغى». وقد تأتى زائدة[7]. وتعنى «كاد» قارب[8].

وقد تشير بعض الأدوات مثل «إذا» إلى زمن الفعل أو المفاجأة. وقد تشير إلى التحول من الاستقبال إلى الحال. وقد تكون شرطية تفيد اليقين والظن. وقد تفيد العموم. وقد

---

(١) السابق ص١٨٨.
(٢) السابق ص١٩١، البرهان جـ٤/ ٢٧١.
(٣) الإتقان ص١٩٩.
(٤) البرهان جـ٤/ ٣٩٨-٤١٠.
(٥) السابق جـ٤/ ٤١١-٤١٤.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٩٠-١٩١.
(٧) البرهان جـ٤/ ٣١١.
(٨) السابق ص٣١٢.

تكون زائدة طبقا للضرورة البلاغية[1]. و«هيت» اسم فعل بمعنى أسرع وبادر. وتقرأ أيضا «هيْتَ» و«هُيِّتَ»[2].

وتفيد «رب» الاحتمال، للتكثير تفخيما أو للتقليل تصغير أو للتسوية[3]. وتفيد «اللهم» النداء. وأصلها «يا الله» ثم حذفت يا النداء. والنداء أيضا بحرف النداء «يا»[4]. «هات» فعل أمر لا يتصرف[5]. و«هلم» دعاء إلى الشيء[6].

د- الأزمان:

وأدوات الزمن كثيرة وليس فقط «الناسخ والمنسوخ». إذ تشير إلى الماضي[7]. وقد تفيد التعليل والتوكيد والتحقيق. فالزمان ليس خاويا بل هو حامل لحالات النفس ومنطقها الذاتي في أنماط اليقين، والموضوعي في علاقات الوجود مثل التعليل والسببية. وتأتي مضافة إلى جملة[8].

وهي نوعان: ظرف زمان مفاجأة. وتجيء اسما وحرفا. وتجيء للحال. وتستعمل للاستمرار. والظرفية ضربان: ظرف محض، وظرف يفيد معنى الشرط. وقد تجيء لا ظرفا ولا شرطا. والظرفية للزمان الحاضر والماضي والمستقبل. وتجاب الشرطية بثلاثة أشياء: الفعل والفاء وإذا المكانية. وتوافق «إذا» «إنْ» في بعض الأحكام. وقد تأتي للقدرة. وقد تأتي بعد «واذكر».

و«الآن» اسم للزمن الحاضر[9]. هو اسم للوقت الحاضر بالحقيقة[10]. وقد تستعمل

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٤٧-١٥٢.
(٢) السابق ص٢٥٤-٢٥٥.
(٣) السابق جـ٢/ ١٩٦-١٩٧.
(٤) السابق جـ٢/ ١٦٣-٢٥٩.
(٥) السابق ص٢٥٣.
(٦) السابق ص٢٥٤.
(٧) السابق جـ٢/ ١٤٤-١٤٧، البرهان جـ٤/ ١٩٠-٢٠٨.
(٨) البرهان جـ٤/ ٢٠٧-٢٠٨.
(٩) الإتقان ص١٦١.
(١٠) السابق ص١٧٥.

فى غيره مجازا[1]. وتفيد «أنى» الاستفهام والشرط داخل الزمان بمعنى «متى» أو«أين»[2]. وتفيد «ثُم» الترتيب والتوالى وتفصيل المهلة مثل «الفاء» و«الواو»[3]. وتأتى مع التراخى فى الزمان. وفى العطف تكون للترتيب أى التراخى فى الرتبة. و«رويدا» اسم مصغر من «رود» وهو المَهل أى الزمان التدريجى[4].

و«السين» حرف يفيد المضارع والمستقبل. فلا حاضر بلا مستقبل، ولا مستقبل بلا حاضر ضد تهمة «الماضوية»[5]. ومنها «سوف»[6]. ويدل على التأخير والتنفيس. وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف. و«قد» حرف مختص بالفعل. يعبر عن الماضى والمضارع. التحقيق مع الماضى. والتقليل مع المضارع، والتكثير، والتوقع. و«كاد» فعل ناقص يفيد الماضى والمضارع. ويعنى «قارب» أو«أراد»[7]. و«كان» فعل ناقص يدل على الماضى والانقطاع. وقد يفيد الأزل والأبد أو الحال والاستقبال أو التأكيد. و«لات» فعل ماض بمعنى نقص بصرف النظر عن أصلها «ليس» أو اللا النافية[8]. و«لا جرم» مركبة من لا النافية و«جرم» أى «كسب» أو «حق». تأتى بعدها إن واسمها وليس فعلا. ويفيدان معا «لابد»[9].

والزمان ليس فقط فى الأسماء وفى الأفعال بل أيضا فى الحروف. «لم» حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضيا. و«لما» حرف جزم أيضا لنفى المضارع وقلبه ماضيا. وتدخل على الماضى. وقد تكون حرف استثناء. و«لما» المخففة من حرفين اللا وما النافية. و«لن» حرف نفى ونصب واستقبال. ونفى المظنون بلن والمشكوك بلا. وقد ترد للدعاء. و«ل» وحرف شرط فى الماضى يصرف فى المضارع. وترد شرطية فى المستقبل، ومصدرية،

---

(١) البرهان جـ٤/ ٢٤٧.
(٢) السابق ص٢٤٩-٢٥٠.
(٣) الإتقان ص١٨٩، البرهان جـ٤/ ٢٦٦-٢٧٠.
(٤) السابق ص١٩٦، البرهان جـ٤/ ٢٨٠.
(٥) الإتقان جـ٢/ ١٩٧-١٩٨، البرهان جـ٤/ ٢٨٠-٢٨١.
(٦) البرهان جـ٤/ ٢٨٢-٢٨٤.
(٧) السابق ص٢١٢-٢١٣، البرهان جـ٤/ ٣٠٥-٣٠٩.
(٨) السابق ص٢١٥-٢١٧.
(٩) السابق ص٢٣٠-٢٣١.

وللتمنى، وللتعليل[1]. و«متى» استفهام عن الزمان[2]. وتشير «هيهات» إلى بعد الزمان[3]. و«أيان» هى «أى» على وزن «فعلان» وتعنى «أى وقت».وقد يكون الأصل «أى أوان». وهى مثل «متى» مع مزيد من التعظيم فى حين أن متى أشهر. وتستعمل حين التفخيم[4]. وربما لا يأتى بعدها إلا الماضى[5].

وكما تدل ظروف الزمان على الزمان تدل ظروف المكان على المكان. وذلك مثل «بين» للتوسط بين شيئين[6]. و«ثَم» ظرف مكان يشير إلى المكان البعيد[7]. و«حيث» ظرف مكان[8]. و«دون» ظرف مكان تعنى «أدنى»، ونقيض فوق. وقد تعنى «غير»[9]. وقد تكون اسما أو صفة. و«عند» ظرف مكان للحضور والقرب الحسيين أو المعنويين[10]. وقد تأتى مجرورة بمن. ويتلوها «لدى» و«لدن» و«وراء» و«أمام». و«هنا» اسم يشير إلى المكان القريب، و«هنالك» للمكان البعيد. وقد يشار به إلى الزمان توسعا. فالمكان والزمان قرينان[11]. و«فى» ظرف مكان. وقد يكون المكان معنويا. وقد يعنى «مع» و«عند» و«بعد» و«عن» و«من» و«إلى» و«على». و قد يأتى للتعليل. وقد تأتى للمقايسة والتوكيد. و«كأيّن» تعنى كم للتكثير، كناية عن العدد[12].

٤- الحروف العقلية:

أ- السببية والشرط:

وتعنى الحروف العقلية الحروف التى تفيد السببية، والشرط، والغاية، والجر،

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٣٣-٢٣٩، البرهان جـ٤/ ٣٨٠-٣٨٨.
(٢) السابق ص٢٤٦.
(٣) السابق ص٢٥٥.
(٤) البرهان جـ٤/ ٢٥١.
(٥) السابق ص٢٨٠.
(٦) الإتقان جـ٢/ ١٨٧-١٨٨.
(٧) السابق ص١٩٠، البرهان جـ٤/ ٢٧٠.
(٨) الإتقان جـ١ ١٩٤-١٩٥، جـ٤/ ٢٧٤-٤٧٦، مثل (من دونه).
(٩) السابق ص٢٠٦-٢٠٧، البرهان جـ٤/ ٢٩٠-٢٩٢.
(١٠) الإتقان جـ٢ ص٢٥٤.
(١١) البرهان جـ٤/ ٣٠٢-٣٠٤.
(١٢) السابق ص٣١١-٣١٢ مثل ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾.

والتشبيه، والنفى، والتمنى، والاستثناء، والتأكيد، والاستفهام. وكلها أفعال عقلية وراء استعمال الحروف. فأفعال اللغة أفعال عقلية تتطلب التفكير والحكم.

تفيد «إذا» السببية والشرط، الفعل والجواب، المقدمة والنتيجة. وتُضاف النون فى التدوين العربى المعاصر. وتفيد الزمن الماضى. فالزمان حاو للشرط والسببية[1]. كما تفيد «إمّا» الشرط والتفصيل والتوكيد[2]. وتستلزم الشرط الفاء فى الجواب. وقد تكون فى الأصل مركبة من «أم» المتقطعة و«ما» الاستفهامية. و«إنْ» أيضا شرطية. وأحيانا تفيد التعليل[3]. وتكون بمنزلة لا. وتدخل على الجملة الاسمية وتكون مخففة من الثقيلة فتعمل فى اسمها. ويلزم حينئذ اللام. وتكون بمعنى «قد».

و«فاء» للعطف والربط والترتيب والتعقيب والاستئناف والسببية،[4]. وجزاء وزائدة. وتأتى للمهلة مثل «ثم» و«كى» للتعليل[5]. و«كيف» للشرط والاستفهام هو الغالب[6]. والنون للتأكيد، خفيفة لتأكيد الفعل مرتين أو شديدة لتأكيده ثلاثا.

ب- الغاية والنهاية:

و«إلى» حرف جر تفيد الغاية والنهاية فى الزمان أو لدى الشخص. وقد تكون مجازا حقيقة أو مشتركة بين الحقيقة والمجاز[7]. و«حتى» مثل «إلى»، تعنى التوجه نحو الغاية تدريجيا بعد ابتدائها. وقد تعنى التعليل أيضا مثل «كى»، والاستثناء مثل «إلا»[8].

جـ- حروف الجر:

ويعنى حرف الجر الإلصاق مثل «الباء»، والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٥٢-١٥٥، البرهان جـ٤/ ١٨٧-١٨٩.
(٢) السابق ص١٦٥-١٦٦، البرهان جـ٤/ ٢٤٢-٢٤٤.
(٣) السابق ص١٦٧-١٧٠، البرهان جـ٤/ ٢١٥-٢٢٢.
(٤) الإتقان ص٢٠٩-٢١١، البرهان جـ٤/ ٢٩٤-٣٠١.
(٥) السابق ص٢٢٣-٢٢٤.
(٦) السابق ص٤٣٠.
(٧) الإتقان جـ٢/ ١٦١-١٦٣، البرهان جـ٤/ ٢٣٢-٣٣٤.
(٨) السابق ص١٩٢-١٩٤، البرهان جـ٤/ ٢٧٢-٣٧٣.

والمجاوزة والتبغيض والغاية والمقابلة والتوكيد. وقد تأتى زائدة[1]. وقد تكون للتعدية مقام الهمزة. وقد تستعمل للاستعانة وللمصاحبة وللظرفية وللمجاوزة وللاستعلاء وللتبعيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع فى الزمان والمكان. و«على» حرف جر تعنى الاستعلاء الحسى أو المعنوى للمصاحبة والتعليل والظرفية والفوقية. و«عن» حرف جر آخر يفيد المجاوزة، والبدل، والاستعلاء، والتعليل، والفوقية مثل «على»، والجهة مثل «نحو» أو البعدية مثل «بعد»[2]. و«فى» حرف جر تفيد ظرف المكان أو الزمان. كما تفيد المصاحبة والتعليل والاستعلاء. وتفيد معانى حروف الجر الأخرى كالباء وإلىَ ومن ونحو. كما تعنى المقايسة والتوكيد[3]. والكاف حرف جر للتشبيه. وتدخل على «ذا» فى «ذاك» كاسم إشارة[4]. وللظرفية وللمجازاة وللاستعلاء وللتبعيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع فى الزمان والمكان. و«مع» للمصاحبة بين أمرين، ليس بينهما صحبة ولا اشتراك إلا فى حكم يجمعهما. والمعية تكون فى أفعال الجوارح أو فى الأفعال المعنوية[5]. و«مِنْ» حرف جر يفيد ابتداء الغاية مكانا وزمانا، والتبعيض والتبيين والتعليل وتخصيص العموم والتأكيد[6]. و«من» لا تكون إلا اسما، شرطية واستفهامية ونكرة موصوفة[7]. وتأتى لعدة معانى منها: ابتداء الغاية، والغاية ، والتبعيض، وبيان الجنس، والتعليل، والبدل، معنى «عن» و«الباء» و«فى» و«عند»، وبمعنى الفصل، والزائدة والملابسة.

د- التشبيه:

تفيد «كأن» التشبيه المؤكد، مثل الكاف. وقد تفيد الظن، ومثل «كأين» وهو اسم مركب من كاف التشبيه و«أى» للتكثير فى العدد، و«كذا» للإشارة[8]. و«كلا» مركبة من كاف التشبيه و«لا» النافية لتقوية المعنى للردع والزجر[9].

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٨٢-١٨٥، البرهان جـ٤/ ٢٥٢-٢٥٧ مثل (وامسحوا برءوسكم).
(٢) السابق ص٢٠١-٢٠٣، البرهان جـ٤/ ٢٨٤-٢٨٧.
(٣) السابق ص٢١١-٢١٢.
(٤) السابق ص٢١٤-٢١٥، البرهان جـ٤/ ٣١٠.
(٥) البرهان جـ٤/ ٤٢٧-٤٢٩.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٤٧-٢٥٠، البرهان جـ٤/ ٤١٥-٤٢٦.
(٧) السابق ص٢٥٥-٢٥٨، البرهان جـ٤/ ٤٣٥-٢٤٢.
(٨) الإتقان جـ٢/ ٢١٧-٢١٨.
(٩) السابق ص٢٢١-٢٢٢.

هـ- النفى:

و«لا» النافية. وتكون للجنس. تعمل عمل«إنّ» أو«ليس». وتكون لطلب الشرك وهى الناهية. وقد تكون للتأكيد. وقد ترد اسما بمعنى غير. وقد تحذف ألفها[1]. و«لولا» حرف امتناع. يدخل على الجملة الاسمية. وجوابها مقرون بلام. وتكون بمعنى «هلا» للتخصيص والعرض وللتوبيخ والتنديم فى المضارع. وتكون للاستفهام والنفى[2]. ومثلها «لو ما» للتخصيص[3]. و«ليس» فعل لنفى الحال أو للنفى العام[4]. و«بلى» جواب على نفى قبلها، وجواب لاستفهام منفى للتصديق والإثبات. وقد تأتى بعد النفى المعنوى أو إجابة لسؤال مقدر. ولا يجوز الحذف أو الإثبات بعدها. و«لا» النافية على ستة أوجه. الأولى للنفى. وتدخل على الأسماء والأفعال. والداخلة على الأسماء عاملة وغير عاملة، تارة عمل «أن» وهى النافية للجنس، وتارة عمل ليس. وغير العاملة يُرفع الاسم بعدها ابتداء. وتارة تكون نكرة وتارة معرفة. والثانية للنهى الحاضر والغائب. وترد للدعاء. والثالثة جوابية أى رد الجواب. والرابعة بمعنى لم دخولا على الماضى. والخامسة عاطفة. والسادسة زائدة بعد العطف وأن المصدرية وقبل القسم، وأن تكون اسما[5]. و«لا جرم» مثل لا النافية. وجرم أى حق. وقد تكون زائدة. وتعنى «لابد»[6]. و«لات» مثل ليس[7].

و- الاستثناء:

وتفيد «إلا» الاستثناء[8]. وهو إحدى المبادئ اللغوية أيضا فى علم الأصول، وقد يكون متصلا أو متقطعا. ويدل على التفرد عن القاعدة. و يأتى بمعنى «بل» وحرف

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٢٧-٢٣٠، البرهان جـ٤/ ٣١١.
(٢) الإتقان جـ٢/ ٢٣٩-٢٤٢، البرهان جـ٤/ ٣٩٦-٣٩٧.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٢٤-٢٤٧.
(٤) البرهان جـ٤/ ٢٦١-٢٦٥.
(٥) السابق جـ٤/ ٣٥١-٣٦١.
(٦) السابق ص٣٦٢-٣٦٣.
(٧) السابق ص٣٦٢.
(٨) الإتقان جـ٢/ ١٥٩-١٦١، البرهان جـ٤/ ٢٣٦-٢٤١.

العطف «واو» وبمعنى «غير» و«بدل»، وللحصر، ومن «أن» الشرطية. وتفيد «إما» أيضا الاختيار بين بديلين، الإبهام والتفصيل[1]. و«لكنّ» للاستدراك أو التوكيد[2]. و«لكنْ» تفيد الاستدراك أيضا أو تكون عاطفة إذا تلاها مفرد. و«غير» تعنى «لا». وتكون حالا. وتعنى «إلا» إذا كانت استثناء[3].

ز- اللام:

و«اللام» جارة وناصبة وجازمة ومهملة. الجارة تفيد الاستحقاق والاختصاص والملك والتعليل، والتبليغ، والصيرورة. والناصبة للتعليل. والجازمة للطلب أو التهديد. والجازمة فعل للغائب. والمهملة غير العاملة للابتداء فى المبتدأ والخبر، والجواب للقسم، والشرطية[4]. واللام قسمان: عاملة وغير عاملة. وغير العاملة تدل على عشرة معان: معّرفة، دالة على البعد، مخففة، موجبة، مؤكدة، متممة، موْجهة، مسبوقة، مؤذنة، مواطئة. والمعرفة معها ألف الوصل. والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة. والمخففة التى يجوز معها تخفيف إنّ وهى لام الابتداء والمفارقة وتحقق الخبر مع المبتدأ. والموجبة بمعنى «إلا». والمؤكدة الزائدة أو الكلام فى المبتدأ أو مع إن فى الخبر. والمتممة لتتميم الكلام. والموجهة جواب «لولا». والمسبوقة جواب «لو». والمؤذنة الداخلة على أداة الشرط. والموطئة التى وطأت الجواب للقسم. والعاملة إما جارة أو ناصبة أو جازمة. والجارة تفيد المِلك المتبقى والتمليك، والاختصاص، والتخصيص، والاستحقاق والولاية والتعليل والتعدية، والتبيين، وبمعانى «إلى» و«بعد» و«على» و«فى» و«عن» و«إن». وتسمى لام التبليغ. والناصبة مثل لام «كى»، ولام العاقبة بالجازمة الموضوعة للطلب. وتسمى لام الأمر. وتدخل على المضارع. وشرطها أن يكون الفعل لغير المخاطب. وتسكن بعد الواو والفاء. وتعنى التكليف، والابتهال، والدعاء، والتهديد، والخبر. ويجوز حذفها ورفع الفعل.

---

(١) السابق ص١٦٦-١٦٧.

(٢) السابق ص٢٣١-٢٣٢، البرهان جـ٤/ ٣٨٩-٣٩١١.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٩٣.

(٤) السابق جـ٤/ ٣٣٤-٣٥٠.

حـ- الاختيار:

ويفيد «أم» الاختيار. وهو حرف عطف. يحتمل الاتصال والانقطاع[1]. و«أو» حرف عطف يفيد الشك والتردد بين حالتين، والإيهام على السامع، وإباحة عدم امتناع الجمع، والتفضيل بين الإجمال، والتقريب[2]. وتقع «أو» فى الخبر والطلب. وفى الخبر لها عدة معان: الشك والإيهام، والتنويع، والتفصيل، والإضراب، ومعنى الواو[3]. والطلب يعنى الإباحة والتخيير. و«إما» تفيد التكرار أو الشرطية مركبة من «أن» و«ما». وقد تلحق بها نون التوكيد. وقد تفيد التخيير.

والسؤال هو: هل تفيد كل هذه التحليلات للحروف العقلية فى التفسير؟ هل يتم فهم النص بهذا التطبيق الأولى لوظائف الحروف؟ هل تؤدى معرفة الجزء إلى اقتناص الكل؟ لا يكون التفسير إلا حدسيا إدراكا مباشرا لقصد الوحى وتوجهه وحركته فى الوعى وفى العالم. غلبت هذه التحليلات اللغوية لأن الثقافة القديمة كانت ثقافة لغة. أما الآن فمعظم الناطقين بالعربية لا يتحدثون الفصحى. وإن تحدثوها فكثير منهم يلحنون. إنما ثقافة العصر العلوم الإنسانية التى تساعد على فهم وضع الإنسان فى العالم[4].

٥- الحروف النفسية:

وتعنى الحروف النفسية الحروف التى تتضمن أفعال الشعور وليس أفعال العقل. تعبر عن بعض الانفعالات الإنسانية فى علاقتها بالآخرين وبالعالم. فاللغة موقف انفعالى كما هى موقف عقلى ،اتجاه سلوكى كما هى حكم منطقى. وأهم الانفعالات المذكورة فى علوم القرآن: الحض، والإبطال، والضجر، والتهديد والوعيد والذم والردع، والزجر، والندم والتعجب والتقبيح، والتمنى، والتصديق، والنداء، والاستخبار، والاستفهام.

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٦٣-١٦٥.

(٢) السابق ص١٧٥-١٧٨.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٠٩-٢١٤/ ٣٦٣-٣٧٥.

(٤) السابق جـ٢/ ٢٤٥-٢٤٦. مثل ﴿إِنَّا شَاكِرًا وَإِنَّا كَفُورًا﴾.

ويمكن إضافة أخرى. فالوحى يصف انفعالات الناس بالرسالة والتبليغ، بين التصديق والتكذيب، اليأس الأمل، الخوف والرجاء إلى آخر ما وصف الصوفية فى المقامات والأحوال[1].

أ- الحض:

تدل «ألاَ» بالفتح والتخفيف على الحض والعرض والدعوة إلى الفعل والاستفتاح. وقد تكون للاستفهام المنفى. ومثلها «ألاّ» بالفتح والتشديد مركبة من أن الناصبة و«لا» النافية.[2].

ب- الإبطال:

يفيد حرف «بل» الإضراب والإبطال والتعارض بين ما قبلها وما بعدها[3]. الإضراب عن الأول والإثبات للثانى يتلوه جملة ومفردًا.

جـ- الضجر:

وتدل «أف» على الضجر والكراهة. وأصلها اسم فعل مثل كف واترك أو اسم لفعل ماضى، كرهت وتضجرت. فالفعل فى الزمان أو مضارع بمعنى «أتضجر»[4].

د- التهديد، والوعيد، والندم، والردع، الزجر:

وتفيد «أولى» التهديد والوعيد[5]. و«بئس» و«ساء» فعلان للذم[6].و«كلا» حرف ردع وزجر[7]. وقد تعنى «حقا». و«نِعم» فعل للمدح[8].

---

(١) الإتقان جـ٢/ ١٥٨-١٥٩، البرهان جـ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ مثل (ألاّ تعلوا علىّ).
(٢) من الفناء إلى البقاء جـ٢ الوعى الذاتى.
(٣) الإتقان جـ٢/ ١٨٥، البرهان جـ٤/ ٢٥٨-٢٦٠. مثل ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.
(٤) الإتقان جـ٢/ ١٥٥-١٥٦، البرهان جـ٤/ ٢٤٨. مثل ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.
(٥) الإتقان جـ٢/ ١٧٩.
(٦) السابق ص١٨٧-١٩٩.
(٧) السابق ص٢٥٢.
(٨) البرهان جـ٤/ ٣١٣-٣١٦.

هـ- الندم، والتعجب، والتقبيح:

«وى» «وكأن» للندم والتعجب. وأصلها «ويلك». و«ويل» للتقبيح[1].

و- التمنى:

و«لو» على خمسة أوجه: الامتناعية أو امتناعية شرطية، ومصدرية، وللتمنى[2]. و«لولا» مركبة من«لو» «ولا». وهى على أربعة أضرب: حرف امتناع لوجوب، والتحضيض، والاستفهام، والنفى. «ولو ما» مثل «لولا»[3]. «ولعل» للتوقع والترجى فى المحبوب، والإشفاق فى المكروه والتعليل والاستفهام[4]. «ليت» حرف ينصب الاسم، ويرفع الخبر، ويفيد التمنى[5]. وعسى يعبر عن التمنى «عسى». وهو فعل جامد أو حرف. فإن كان فعلا فهو ماضى اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع[6].

ز- النداء:

«يا» لنداء البعيد والقريب إذا كان ساهيا أو غافلا. فالخطاب نداء. والوحى توجه مباشر نحو المتلقى. والرسالة إيقاظ وتنبيه[7].

حـ- الاستخبار:

الاستخبار هو طلب الخبر بمعنى الاستفهام أى طلب الفهم. وفوائده السؤال وطلب المعرفة والبحث عن اليقين. والسؤال قبل الواجب كما هو الحال فى «أسباب النزول». وقد يستطع السائل أن يجيب بنفسه دون حاجة إلى مسئول. وهو قسمان: الخبر والإنشاء. الخبر نفى وإثبات. وفى حالة الإثبات يسمى استفهام تقرير، وفى النفى يسمى استفهام إنكار.

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، البرهان جـ٤/ ٤٤٣-٤٤٤.
(٢) البرهان جـ٤/ ٣٦٣-٣٧٥.
(٣) السابق ص٣٧٦-٣٨٠.
(٤) الإتقان جـ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، البرهان جـ٤/ ٣٩٢-٣٩٥.
(٥) السابق ص٢٤١.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٠٣-٢٠٦، البرهان جـ٤/ ٢٨٨-٢٨٩.
(٧) البرهان جـ٤/ ٤٤٥-٤٤٦.

وقد يتضمن الإثبات الافتخار أو التوبيخ أو العقاب أو التبكيت أو التسوية أو التعظيم أو التهويل أو التسهيل والتخفيف أو التكثير أو الاسترشاد. وقد يكون الجحد بين الكلامين إخبارا[1]. وقد يكون هدف الإنكار تعريف المخاطب أن الادعاء ممتنع عليه وليس من قدرته.

ط- الاستفهام:

والخطاب سؤال وجواب، استفهام ورد. وتقوم الهمزة بهذا الدور. الاستفهام طلب الإلهام، والتصور والتصديق أى المعرفة بالحدود. كما تعبر عن هواجس النفس وخواطرها تسأل من الإثبات والنفى، وعن العاطف والمعطوف، وعن الشرط والمنادى. فالهمزة توحى بمعان عديدة، وتسمح بتعدد التأويلات، وليست معنى واحدا، يوحى باتجاه واحد. فلا يوجد سؤال له إجابة واحدة[2]. وتجمع «أى» بين الاستفهام والشرط[3]. «وأيان» اسم استفهام مثل «متى». تستعمل فى التفخيم، «وأين» استفهام عن المكان. «وبلى» جواب على استفهام بالإثبات عن طريق نفى النفى[4]. «وكم» للاستفهام. وتستعمل خبرية بمعنى كثير[5]. وهى نكرة لا تعرف، مبهمة فى العدد. وتعنى «أين» فى الأمكنة، «ومتى» فى الأزمنة، «وكيف» فى الأحوال، مفردة اللفظ وتعنى الجمع.

«وما» اسم موصول واستفهامية وشرطية وتعجبية، ونكرة موصوفة وغير موصوفة، ومصدرية، ونافية عاملة أو غير عاملة، وزائدة للتوكيد، «وماذا» استفهام وإشارة[6]. وهل حرف استفهام يطلب به التصديق لا التصور[7]. وتدخل الهمزة على «الواو» «والفاء» «وثم» «وهل». وتدخل على «رأيت». وتدخل على «لم». «وأم» حرف عطف واستفهام[8].

---

(١) البرهان جـ٢/ ٣٢٦-٣٥١.
(٢) الإتقان جـ٢/ ١٤١-١٤٣، البرهان جـ٤/ ١٧٨.
(٣) السابق ص١٨٠-١٨٢.
(٤) السابق ص١٨٦-١٨٧.
(٥) السابق ص٢٢٢-٢٢٣، البرهان جـ٤/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٢٤٢-٢٤٦.
(٧) السابق ص٢٥٣.
(٨) البرهان جـ٤/ ١٧٨-١٨٦.

وقد يجمع الاستفهام الإنكار والتقرير[1]. واستفهام التقرير هو حمل المخاطب على الإقرار، وهو استفهام إنكار، وقد يأتى الاستفهام. بمعنى الإنشاء. وينقسم إلى طلب، ونهى، وتحذير، وتذكير، وتنبيه، وترغيب، وتمنٍ، ودعاء، وعرض، وتحضيض، واستبكاء، وإياس، وإيناس، وتهكم، واستهزاء، وتحقير وتعجب، واستبعاد، وتوبيخ[2].

واستفهام الإنكار لا يكون إلا على ماضٍ[3]. وحروف الاستفهام ثلاثة الهمزة، وهل، وأم. وغيرها أسماء استفهام مثل «من»، «متى»، «أين»، «أنى»، «كيف»، «كم»، «أيان». ولكل حرف خصائصه ووظيفته[4]. «وكيف» استفهام عن حال الشيء لا عن ذاته كما أن «ما» سؤال عن حقيقة، «ومن» عن مشخصاته. لذلك لا يستعمل فى السؤال عن «الله». ومنزلتها كالظرف. وقد تدل على ثلاثة أحوال: السؤال عن الحال، والحال دون السؤال، والتعجب. وقد يأتى للنفى والإنكار والتوبيخ، والتحذير، والتنبيه والاعتبار، وللتأكيد وتحقيق ما قبلها، وللتعظيم والتهويل. ونظرا لأنها تفيد الجحد شاع بعدها «ألا» وقد تجيء مصدرا وظرفا. وقد يثبت لها شرط. وقد يحذف الفعل بعدها[5]. «وهل» للاستفهام. وتأتى بمعنى «ما» «وألا» والأمر، والسؤال، والتمنى، وأدعوك[6]. وقد يعنى الاستفهام النفى[7]. وقد تكون الإجابة على السؤال لتخصيص الموضع أو النسبة.

ى- التصديق:

وتفيد «إى» تصديق المخبر ولإعلام المستخبر. وتقع بعد القسم أو الاستفهام[8]. «ونعم» حرف جواب، تصديق للمخبر، ووعد للطالب، وإعلام للمستخبر[9].

---

(١) السابق جـ٢/ ٣٤٤-٣٤٦.
(٢) مثل (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام).
(٣) السابق ص٣٤٦-٣٤٧.
(٤) السابق ص٣٤٧.
(٥) السابق جـ٤/ ٣٣٠-٣٣٣.
(٦) السابق ص٤٣٣-٤٣٤.
(٧) السابق جـ٤/ ٧٤-٧٧. مثل (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا).
(٨) الإتقان جـ٢/ ١٨٠، البرهان جـ٤/ ٢٥١
(٩) الإتقان جـ٢/ ص٢٥٢.

والتصديق أحد حروف الانفعال مع الضجر والإبطال والحض والتهديد والوعيد والروع والزجر. وليس هو الفعل الأول كما هو حادث فى الحياة المعاصرة.

ك- التنوين:

وهو بالصوت لا بالخط. مجرد موسيقى للتأثير دون تمييز بين أفعال الشعور وحروف الانفعالات. فاللغة صوت. والصوت موسيقى. والموسيقى نغم. والنغم يؤثر فى النفس، وأفضل حامل للمعنى. لذلك تم الحديث عن موسيقى القرآن وموسيقى الشعر[1].

٦- الضمائر:

فى القرآن خمسة وعشرون ضميرا متصلا ومنفصلا[2]. ويرجع الضمير إلى مرجع يعود إليه. ويعود إلى أقرب مذكور. فالأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير. إذ يعود ضمير الغيبة إلى شىء سبق ذكره فى اللفظ بالمطابقة أو أن يعود على مذكور فى سياق الكلام، مؤخر فى الكلام مقدم فى النية أو أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمين أو بالالتزام أو السياق[3].

والأصل توافق الضمائر حذرا من التشتيت. وجمع العلاقات لا يعود عليه الضمير إلا بصيغة الجمع[4]. ويدل بالجزء على الكل[5]. والضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس[6].

والعدول إلى الضمائر له أسبابه منها: الاختصار، والفخامة، والتحقير[7]. وضمير الشأن أو القصة هو ضمير المجهول. قد يعود إلى ما بعده ولا يكون مفسره إلا جملة.

---

(١) السابق ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) الإتقان جـ٢/ ٢٨١-٣٢٣. وألف ابن الانبارى «الضمائر فى القرآن» فى مجلدين، السابق ص٢٨١. البرهان جـ٤/ ٢٤-٤٢.

(٣) البرهان جـ٤/ ٢٥-٢٩/ ٣٩-٤٠.

(٤) الإتقان ص٢٨٧.

(٥) البرهان جـ٤/ ٤٠-٤١ مثل ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

(٦) السابق ص٤٢ مثل ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

(٧) البرهان جـ٤/ ٢٤-٢٥.

ولا يتبع بتابع. ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو النسخ، وهو ملازم للأفراد، ولا يُحمل كلية[1]. والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصل يكون على ضمير الغائب والمتكلم والمخاطب. فقد يأتى الضمير متصلا بشيء وهو كغيره[2]. وإذا اجتمع فى الضمائر مراعاة اللفظ أو المعنى يبدأ باللفظ ثم بالمعنى[3]. والضمير لا يكون إلا بعد الظاهر لفظا أو مرتبة أو لفظا ومرتبة. ولا يكون قبله إلا فى أبواب ضمير الشأن والقصة.

وقد يعود الضمير على شيء والمراد به جنسه[4]. وقد يذكر شيئان ويعود الضمير إلى أحدهما[5]. وقد يذكر شيئان ويعود الضمير إليهما جمعا لأن الاثنين جمع فى المعنى[6]. وقد يثنى الضمير ويعود إلى أحد المذكورين[7]. وإذا اجتمعت ضمائر فإن عودها لواحد أولى من عودها لمختلف[8]. وإذا عطف «أو» يُفرد الضمير[9]. وقد تسد مسد الضمير أمور منها: الإشارة، والألف واللام، والاسم الظاهر[10]. ويجوز حذف الضمير للعلم به[11].

و «أيّا» ضمير[12] والضمير هو الشخص، المتكلم أو المخاطب أو الغائب. «ومهما» اسم يعود الضمير عليه للتأكيد. «النون» اسم ضمير النسوة لتفرد النساء. وهى غير نون التوكيد[13]. «والهاء» اسم ضمير الغائب. «وها» اسم فعل بمعنى «خذ»، واسم ضمير

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، البرهان جـ٤/ ٢٩-٣٠.
(٢) البرهان جـ٤/ ٣٣-٣٥ مثل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٢٨٨-٢٨٩. مثل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾.
(٤) البرهان جـ٤/ ٣٠ مثل ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.
(٥) السابق ص٣٠-٣٢ مثل ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾.
(٦) السابق ص ٣٢ مثل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾.
(٧) السابق ص٣٢ مثل ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.
(٨) السابق ص٣٥-٣٨ مثل ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾.
(٩) السابق ص٤٠. مثل ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.
(١٠) السابق جـ٤/ ٣٨-٣٩.
(١١) السابق ص٤١. مثل ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.
(١٢) الإتقان جـ٢/ ١٨١.
(١٣) السابق ص٢٥٠.

للمؤنث، وحرف تنبيه للإشارة[1].

٧- قواعد التفسير:

ويحتاج المفسر إلى عدة قواعد مثل[2]:

أ- قاعدة الضمائر:

فالضمير له مرجع يعود إليه يكون الأقرب إليه مع توافق الضمائر، والمطابقة لما قبله. وضمير المجهول هو ضمير الشأن والقصة، ولا يعود الضمير على جمع العاقلات. ويراعى اللفظ قبل المعنى، وليس المعنى قبل اللفظ.

ب- قاعدة التذكير والتأنيث:

التأنيث نوعان: الأول حقيقى لا تحذف فيه تاء التأنيث إلا إذا وقع فيه فصل. والثانى غير حقيقى فالحذف فيه مع الفصل أحسن[3]. ومن قواعد التذكير والتأنيث، أن التأنيث ضربان: حقيقى لا تحذف تاؤه إلا إن وقع فصل، وغير الحقيقى الحذف فيه مع الفصل أفضل[4]. ويذكر المؤنث ويذكر المذكر مما يدل على أن الفصل بينهما فصل إجرائى. والتذكير أجود طبقا للثقافة الذكورية القديمة. وضابط التأنيث حقيقى وغير حقيقى. فالحقيقى لا يحذف. وغير الحقيقى يحذف[5].

جـ- قاعدة التعريف والتنكير:

وأسباب التنكير إرادة الوحدة، وإرادة النوع، والتعظيم، والتكثير، والتحقير، والتقليل. وإذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال: أما أن يكونا معرفتين أو نكرتين أو

---

(١) السابق ص٢٥٢-٢٥٣، البرهان جـ٤/ ٤٣١-٤٣٢.
(٢) «فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها»، الإتقان جـ٢/ ٢٨١-٣٢٣.
(٣) السابق ص٢٨٩-٢٩١.
(٤) الإتقان جـ١/ ٢٨٩-٢٩١.
(٥) البرهان جـ٣/ ٣٥٩-٣٧١.

الأول نكرة والثانى معرفة أو العكس[1]. وفى القرآن تعريف وتنكير[2]. يدل التنكير على الأعلى والأولى. وللتعريف أيضا دلالته على الإضمار، والعلمية، والتعظيم، أو الإهانة، والإشارة، والتعريض، والتحقير، والتنبيه، والموصولية، والاختصار، والإضافة، ولقصد العموم. وقد يذكر الاسم مرتين، معرفتين أو نكرتين أو نكرة ومعرفة أو معرفة ونكرة[3]. وللتعريف أسباب منها الإشارة إلى معهود خارجى أو ذهنى أو الجنس أو الحقيقة.

د- قاعدة الإفراد والجمع[4]:

ومن ألفاظ الجمع مالا واحد له[5]. ومن ألفاظ المفرد ما لا جمع له. وتقتضى مقابلة الجمع بالجمع مقابلة الفرد بالفرد.

هـ- قاعدة الألفاظ:

يظن بها الترادف وليست منه مثل الخوف والخشية. الخشية أشد من الخوف. والشح والبخل والشح أشد. والبخل والضن، البخل بالشىء والضن بالعلم. والسبيل والطريق والأول أغلب. وجاء وأتى، الأول حسى والثانى معنوى. ومد وأمد، الأول فى المكروه والثانى فى المحبوب. وسقى وأسقى، الأول ما لا كلفة فيه، والثانى ما به كلفة. وعمل وفعل، الأول امتداد فى الزمان. والقعود والجلوس، الأول به لبث. والتمام والكمال، الأول لإزالة النقص فى الأصل، والثانى فى العوارض. والإعطاء والإيتاء، والإيتاء أقوى. والسنة والعام، السنة الحول الذى فيه الشدة والجدب، والعام ما فيه الرخاء والخصب[6].

---

(١) الإتقان جـ٢/ ٢٩١-٢٩٩.
(٢) السابق ص٢٩١-٢٩٩، البرهان جـ٤/ ٨٧-٩٣.
(٣) البرهان جـ٤/ ٩٣-١٠١.
(٤) الإتقان جـ٢/ ٢٩٩-٣٠٦.
(٥) مثل: المن، السلوى، الهدى، أبابيل.
(٦) الإتقان جـ٢/ ٣٠٦-٣١٠.

و- قاعدة السؤال والجواب:

وهى مطابقة الجواب للسؤال وإلا فالإجابة بعيدة عن السؤال. توحى بكيفية وضع السؤال مثل السؤال عن النظر والجواب بالعمل، والزيادة فى الجواب. وقد يُعدل عن الجواب. وقد يعاد نفس السؤال. والأصل مشاكلة الجواب للسؤال فى الصياغة. والأسئلة القليلة أفضل من الكثيرة[1].

ز- الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل:

يدل الاسم على الثبوت والاستمرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد فى الماضى، وفى المضارع[2]. وقد يكون الخطاب بالاسم وقد يكون بالفعل[3]. يدل الاسم على الثبوت والاستقرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد فى الماضى يعنى الحصول، وفى المضارع التكرار. ومضمر الفعل كمظهره. قد يجىء الاسم والفعل على التبادل. والجملة الاسمية أثبت من الفعلية. ومضمر الفعل كمظهره فى إفادة الحدوث[4].

حـ- قاعدة المصدر:

الواجبات تأتى بالمصدر مرفوعا[5]. وحرفها «أنْ» حرفا مصدريا ناصبا للفعل المضارع وتقع مبتدأ وفاعلا ومفعولا ومضافا إليه. وتقع بعد عسى. وقد تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين، وتسمى ضمير الشأن. وتكون مفسرة بمعنى «أى» لتفسير ما قبلها بشرط تمام الجملة. وقد تكون زائدة بعد «لما» التوقيتية. وقد تكون شرطية، ونافية بمعنى لا. وقد تكون للتعليل، وبمعنى «إذ» مع الماضى.

---

(١) السابق ص٣١٠-٣١٦، انظر مقالنا: «فلسفة السؤال»، هموم الفكر والوطن جـ٢ الفكر العربى المعاصر ط١ ص٧-٢٩.

(٢) الإتقان جـ٢/ ٣١٦-٣١٩.

(٣) السابق ص٣١٦-٣١٩، البرهان جـ٤/ ٦-٧٢.

(٤) البرهان جـ٤ ص٣٧١.

(٥) الإتقان جـ٢ ص٣١٩، البرهان جـ٤/ ٢٢٣-٢٢٨.

ط- قاعدة العطف:

العطف عطف على اللفظ، وعطف المحل، وعطف التوهم. ولا يُعطف الخبر على الإنشاء أو الاسمية على الفعلية، أو معمولى عاملين أو الضمير المجرور من غير إعادة الجار[١]. «وأم» حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل مثل «أو». يتقدمها استفهام[٢]. الإتيان بالمصدر مرفوعا على سبيل الواجبات[٣].

٨- شروط المفسر:

يُفسر القرآن بالقرآن[٤]. فالتفسير للفهم كما هو الحال فى أى نص من العلوم الرياضية أو الطبيعية[٥]. ميزته الالتزام بالنص. وخطورته الوقوع فى التفسير الحرفى. وهو التفسير بالسياق الكلى أو تفسير الجزء بالكل. وعند القدماء هو التفسير بالمنقول وليس بالمعقول، بالرواية وليس بالدراية[٦]. التفسير مضطر إلى النقل وهو الأكثر. والثانى يعتمد على العقل وهو الأقل. وقد ترد تفاسير عن الصحابة بقراءة مخصوصة[٧]. فالمنقول اختيار. ولا يخلو من معقول. ولا يمكن فى تفسير المتشابه الاعتماد على المنقول وحده لأن اللفظ يتردد بين معنيين[٨]. وكيف يتم التفسير بالنقل وحده حتى نقل مباحث الألفاظ؟ لذلك يحدث رد الفعل على ضرورة التفسير بالرأى. وكيف يتم النقل عن المفسرين السابقين والمحدثون مثلهم، رأيا برأى واجتهادا باجتهاد؟[٩]. وقد يحتاج كل تفسير منقول إلى تفسير، وكل تفسير إلى تفسير إلى ما لا نهاية. ومن ثم لزمت العودة إلى التفسير بالرأى، التفسير بالمعقول، والتفسير بالواقع، والتفسير بالتجربة الذاتية.

---

(١) السابق ص٣١٩-٣٢٣.
(٢) البرهان جـ٤/ ١٨٠-١٨٦.
(٣) الإتقان جـ٢/ ٣١٩.
(٤) الإتقان جـ٤/ ١٧٤-٢٠١، البرهان جـ٢/ ١٧٥-١٧٦، وقد ألف فيها ابن الجوزى.
(٥) السابق ص١٧٤-١٧٦.
(٦) السابق ص١٩٢-١٩٣، وقد ألف السيوطى فى التفسير بالمنقول «ترجمان القرآن».
(٧) وألف فيه السيوطى «أسرار التنزيل»، السابق ص١٩٣-١٩٤.
(٨) السابق ص١٩٤.
(٩) البرهان جـ٢/ ١٧١-١٧٢/ ١٨٠.

ومآخذ أى مصادر أو مناهج للتفسير أربعة:

أ- النقل عن النبى مع خطورة تدخل الضعيف والموضوع خاصة فى المغازى والملاحم والتفسير.

ب- الأخذ بقول الصحابى المرفوع عن النبى. وهى رواية لا رأيا. به مخاطر النقل. وإذا كان منقولا عن التابعى تزداد هذه المخاطر. وقد يضاف إليهم التابعون إلى ما لا نهاية حتى طبقات المفسرين بالرغم من أخطار النقل.

جـ- الأخذ بمطلق اللغة. فالقرآن بلسان عربى. ويكون التفسير طبقا لألفاظ اللغة العربية.

د- التفسير بمقتضى معانى الكلام والمقتضب من قوة الشرع. وهو الذى دعا إليه الرسول بتفهيم الدين وتعليم التأويل. فالقرآن ذو وجوه يحمل على أحسنها[1]. وهو عود إلى المصدر الأول.

طبقا للمصدر الرابع يمكن التفسير بالاستنباط والاستدلال إذا تعددت معانى اللفظ مثل «الصراط» بين الحقيقة والمجاز، بين المعنى الحسى والمعنى العقلى. وميزته حرية الحركة من أجل المحافظة على المعانى الكلية للقرآن. فاللغة ليست فقط لفظا بل معنى. وأصل الوقوف على معانى القرآن التدبر والتفكر. وعيبه تعدد التفسيرات طبقا للمفسرين. وقد يسمح لبعض أصحاب الأهواء الخلط بين الرأى والهوى وهو تفسير المتكلمين، ليس المعتزلة وحدهم ولكن الفرق جميعا دفاعا عن عقائدها. وتضرب الأمثلة من تفسيرات فرق المعارضة وحدها وعلى رأسها المعتزلة التى مازالت باقية ضمن فرق أهل السنة[2]. والتفسير بالرأى قد يؤدى عند الفقهاء إلى خمسة مخاطر: الأول التفسير من غير حصول العلوم. وهو تفسير صورى فارغ. والثانى تفسير المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، وهو نفى للمعرفة الإنسانية وغلق لباب الفهم والاجتهاد. والثالث التفسير اعتمادا على المذهب أو الفرقة بحيث يكون هو الأصل والتفسير تابع، وبالتالى رد الأصل

(١) الإتقان جـ٤/ ١٨٠-١٨٥، البرهان جـ٢/ ١٥٦-١٦٤/ ١٧٢.
(٢) الإتقان جـ٤/ ١٧٦-١٨٠، البرهان جـ٢/ ١٨٠-١٨١.

إلى الفرع. والرابع القطع بأن هذا التفسير هو مراد الله دون دليل. والخامس التفسير بالهوى وليس بالرأى والاستحسان طبقا للمصالح العامة[1]. وهى ليست مخاطر بل هو واقع إنسانى، الحوامل الذاتية للوحى. ولماذا استبعاد التفسير بالرأى؟ لا يعنى الرأى الهوى أو وجهة النظر الخاصة بل التجربة البشرية العامة الفردية والجماعية والمطردة عبر الزمان[2]. والقرآن له وجوه عده طبقا لتعدد المواقف[3]. يحتاج إلى اختيار أحدها. وهو ما لا يتم إلا بالعقل والمصلحة أى الرأى. وهذا هو أحد معانى التشابه، ووظيفة الرأى تحويله إلى محكم.

وهناك عدة وسائل لإيضاح المعنى حين الإشكال مثل رد الكلمة إلى ضدها أو إلى نظيرها والتمييز بين الخبر والشرط أو صيغة كلامية أخرى، ودلالة السياق، والنقل عن المعنى الأصلى، ومعرفة أسباب النزول، والسلامة من التدافع[4]. وعلى المفسر أن يعرف قواعد أصول الفقه فيما يتعلق بمباحث الألفاظ[5]. فالرأى ليس مجرد هوى شخصى بل له منطق محكم. ويمنع من الوقوع فى غرائب التفسير، وهو التفسير البعيد الشيئى التاريخى الحرفى الخاص القائم على الأهواء[6].

ولا يمكن استبعاد تفسير الصوفية[7]. وهو التفسير الإرشادى أو الباطنى أى التأويل اعتمادا على فتاوى بعض الفقهاء. فهناك مستويات لفهم المعنى، الظاهر والباطن، طبقا

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٩١.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٦١-١٦٤، وهو معنى قول الرسول «من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ»، أ«ومن قال فى القرآن برأيه فقد كفر».

(٣) وهناك أحاديث عن الرسول فى هذا المعنى مثل «القرآن ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه».

(٤) السابق جـ٢/ ١٩٩-٢٠٥.

(٥) السابق جـ٢/ ٦-٩.

(٦) وذلك مثل تفسير (حم عسق) إن الحاء حرب على ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدوة المهدى. وتفسير (الم) أن ألف الله الذى بعث محمدا، واللام لامه الجاحدون وأنكروه، والميم المنكرون، وتفسر (القصاص) بأنه القصص، وتفسير (ليطمئن قلبى) أن إبراهيم كان له صديق وصفه له قلبه، وتفسير (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أنه الحب والعشق، وتفسير (من شر غاسق إذا وقب) أنه الذكر إذا انتصب، وتفسير (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) الشجر الأخضر إبراهيم، والنار نور محمد، «وتوقدون» أى تقتبسون الدين، الإتقان جـ٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٧) الإتقان جـ٤/ ١٩٤-١٩٨، البرهان جـ٢/ ١٧٠-١٧١.

لدرجة المعرفة لدى المفسر[1]. وإرجاع الباطن إلى الظاهر هو إلغاء الباطن، عودا إلى الظاهر[2]. والعمل لا يعنى العود إلى الظاهر وإلا تحول القرآن إلى مجموعة من العبادات والشعائر والأحكام الصورية الشرعية مع أن الفقه أخلاق[3]. فالعمل أيضا نوعان، أعمال الجوارح وأعمال القلوب. الظاهر اللفظ عند الفقهاء، والباطن التأويل عند الصوفية. الظاهر التلاوة، والباطن الفهم. تتعدد وجوه النص مما يحتاج إلى تأويل[4]. يحتاج فهم القرآن إلى تثوير أى إلى فهم وتأويل[5]. والتثوير اليوم هو تحريك العقول والأذهان والنفوس والضمائر على التحرك وتغيير الوضع القائم إلى ما هو أفضل. وتفسير الصوفية مواجيد وكشوفات تتجاوز الألفاظ إلى الحدوس المباشرة، «عن قلبى عن ربى أنه قال». التفسير هو المطابقة بين النص وتجربة المفسر الذاتية[6]. وقد يستنبط الحكم من السكوت عن شىء. تكفى الإشارة بالمنطوق به إلى المسكوت عنه[7]. وينقسم القرآن إلى ما هو بين نفسه فلا يحتاج إلى تفسير. يكفى الإدراك المباشر وما ليس مبينا بنفسه فيحتاج إلى تفسير. فالتفسير خطوة ثانية وليست أولى. والأمثلة على ذلك كثيرة[8]. وما يحتاج إلى بيان قد يكون بيانه فى آية أخرى مضمرا فيها إما بحذف أو بإجمال. وقد يكون اللفظ مقتضيا لأمر ويحمل غيره. وقد يكون اللفظ محتملا لمعنيين فى موضع ويعين فى موضع آخر. وقد يكون له ظاهر وباطن[9].

والتفسير على أربعة وجوه: الأول وجه تعرفه العرب من كلامها. والثانى تفسير

---

(١) وذلك مثل ابن الصلاح والواحدى والنسفى والتفتازانى.

(٢) وهو معنى حديث «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع» أو «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع»، أو «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد»، الإتقان جـ٤/ ١٩٦.

(٣) من الفناء إلى البقاء جـ٢/ التصوف الذاتى.

(٤) قال بعض القدماء «لكل آية ستون ألف فهم»، الإتقان جـ٤/ ١٩٧، وروى ابن أبى حمزة عن على «لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت»، السابق ص٢٠٠-٢٠١».

(٥) قال عبد الله بن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص١٩٧.

(٦) البرهان جـ٢/ ١٧٦.

(٧) السابق جـ٢/ ١٨٢-١٨٣.

(٨) السابق جـ٢/ ١٨٣-١٩٦.

(٩) السابق ص١٩٦.

لا يُعذر أحد بجهالته. والثالث تفسير يعرفه العلماء. والرابع تفسير لا يعرفه إلا الله. وهو معنى حديث «أنزل الله القرآن على أربعة أحرف». الأول تعرفه العرب. والثانى الفرائض، الحلال والحرام. والثالث يعرفه العلماء. والرابع هو المتشابه. الأول تعرفه العرب من لسانهم، لفظا ومعنى. الثانى الشرائع والأحكام. والثالث اجتهاد العلماء وتأويلهم واستنباط المعانى وكل لفظ يحتمل معنين. والرابع علم الغيب مثل قيام الساعة وتفسير الروح والحروف فى أوائل السور والمتشابه حيث يتوقف المفسر فيها وهى الموضوعات المتعالية التى تخرج عن نطاق الحس[1]. وكل لفظ يحتمل معنين، موضوع الاجتهاد والعلماء. إما أن يكون أحدهما أظهر من الآخر، أو أن يكون الاثنان جليين سواء اختلف أصل الحقيقة فيهما أم لا، وإذا اختلفا يمكن اجتماعهما أم لا؟ والقول بالرأى على قسمين: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له أو حمل اللفظ المحتمل على أحد معنيين[2].

ولا يوجد تكرار فى القرآن بل التعبير عن أوجه المعنى[3]. وهو أحد أسباب ضرورة التفسير الموضوعى للقرآن[4]. كما لا توجد ألفاظ مترادفة. فكل لفظ مترادف له أحد جوانب خصوصية المعنى.

يبدأ المفسر بعلوم اللغة، مباحث الألفاظ، ثم علاقة الألفاظ بالمعانى، وعلم التصريف وهو الصيغ الدالة على المعانى، وعلم الاشتقاق ورد الأصول إلى الفروع. ثم تأتى علوم التركيب مثل الإعراب، وأساليب البلاغة، وعلم البيان وما يتعلق بالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وعلم البديع وما يتعلق بالفصاحة اللفظية والمعنوية[5]. وعلى المفسر أن يتحرى مطابقة تفسيره للغة دون زيادة أو نقصان، والتفرقة بين الحقيقة والمجاز وباقى مباحث الألفاظ مع أساليب البيان وفنون البلاغة. وعليه أن يعرف كل الحوامل الموضوعية للوحى مثل المكان والزمان وأسباب النزول، والحوامل

(١) الإتقان جـ٤/ ١٨٨-١٩١، البرهان جـ٢/ ١٦٤-١٦٨.
(٢) البرهان جـ٢/ ١٦٨-١٦٩.
(٣) الإتقان جـ٤/ ١٩٩.
(4) Method of the thematic interpretation، Islam in the modern world، I،pp 484509-.
(٥) البرهان جـ٢/ ١٧٣-١٧٤.

الموضوعية الذاتية مثل الرواية، شفاها وتدوينا وقراءة، والحوامل الذاتية اللغوية مثل اللفظ والمعنى وفنون البلاغة ومناهج التفسير[1]. ومن أوجه الزيادة عندما يحكى المفسر عن الله ويقول «حكى الله تعالى» ويصنع تفسيره وكأنه هو المتحدث باسم الله وليس رأيه وتفسيره وفهمه[2].

ويحتاج المفسر إلى الفهم والتبحر فى العلوم[3]. وأولها علوم اللغة. فالعبادات للعموم وهى للسمع، والإشارات للخصوص وهى للعقل، واللطائف للأولياء وهى المشاهد، والحقائق للأنبياء وهى للاستسلام. ولكل علم ظاهر وباطن، حد ومطلع. الظاهر للتلاوة، والباطن للفهم. والحد لأحكام الحلال والحرام أى الفعل والسلوك. والمطلع أى الإشراق، الوعد والوعيد، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. ويكون على قدر الاستطاعة. وتثوير القرآن هو تحويله إلى تجربة ذاتية، ونقله من مستوى النص إلى مستوى التجربة[4]. وعند الصوفية العلوم لا حدود لها. فلكل آية ستون ألف فهم، ويحتوى القرآن على سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم. إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف إلى أربعة. وهى ليست علوما داخلة فى الذات والصفات والأفعال بل هى علوم إنسانية خالصة، يسميها الصوفية علوم المكاشفات.

ويحتاج المفسر إلى عدة علوم مثل اللغة لشرح مفردات الألفاظ، والنحو لتغير المعنى بتغير الإعراب، والتصريف لمعرفة الأبنية والصيغ، والاشتقاق للفصل بين المعنيين المتضادين، والمعانى والبيان والبديع لمعرفة خواص تركيب الكلام من حيث إفادة المعنى ووضوحه وخفائه وتحسين وجوه الكلام وهى علوم البلاغة لمعرفة أوجه الإعجاز، وعلم القراءات لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وعلم أصول الدين للحفاظ على قواعد العقائد،وعلم أصول الفقه لمعرفة أوجه الاستدلال على الأحكام واستنباط عللها، وأسباب النزول والقصص لمعرفة صلة الآية بالواقع، والجواب بالسؤال، والناسخ

---

(١) الإتقان جـ٤/ ١٩٨-١٩٩، البران جـ٢/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) البرهان جـ٢/ ١٥٣-٢٥٦.

(٤) وهو معنى قول ابن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص١٥٤.

والمنسوخ لمعرفة عامل الزمان وأثره فى تطور الأحكام، والفقه لمعرفة أحكام الشرع، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وأخيرا علم الموهبة الذى يورثه الله لمن عمل بما علم، وهو ما يركز عليه الصوفية[1]. وهى علوم تجمع بين العلوم النقلية العقلية كعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم التصوف دون علوم الحكمة، والعلوم النقلية الخالصة كالحديث والفقه دون علوم السيرة ودون العلوم العقلية الخالصة كالحساب أو الطبيعة الخالصة كالطب، والعلوم اللغوية التى تستحوذ على نصف العلوم[2]. لذلك لا يغرق المفسر فى علوم اللغة والفقه والعقائد حتى لا يرد التفسير إليها[3].

وقد تقسم علوم القرآن إلى ثلاثة علوم. الأول علم لم يُطلع الله عليه أحدا من خلقه واستأثر به. وهو خارج أقسام العلوم الإنسانية. فما فائدة علم لا يعرفه البشر؟ وهل الله يستأثر بعلم وهو يبلغ رسالته، ويرسل رسلا؟ الثانى ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختص به مثل أوائل السور. وهو أقرب إلى القسم الأول. وما فائدة علم لا يستأثر به الرسول ولا يبلغه للناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. والثالث علوم علمها الله للنبى من المعانى الكلية والخفية لتعليمها وهو قسمان: الأول لا يجوز الكلام فيه إلا عن طريق السمع مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات والقصص وأمور المعاد. والثانى ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، إما تأويل الآيات المتشابهة فى الصفات، وهو ما عليه خلاف، وإما استنباط الأحكام الشرعية قياسا أو بلاغة[4]. ولا يعنى احتواء القرآن علوم الأولين والآخرين احتواءه على العلوم الرياضية والطبيعية، فهذه علوم برهانية تجريبية، بل يعنى قدرته على إعطاء بعض الفروض العلمية للتحقق من صدقها بالبرهان الرياضى أو التجريبى. وقد يشعر العالم الرياضى أو الطبيعى عند قراءاته للقرآن بصدى بعض نتائج العلمين فيه. فيتفق الحدس والبرهان[5].

---

(١) هى خمسة عشر علما، الإتقان جـ٤/ ١٨٥-١٨٨.
(٢) وهى الثمانية علوم الأولى.
(٣) الإتقان جـ٤/ ٢٠٠.
(٤) السابق ص١٩١-١٩٢.
(٥) البرهان جـ٢/ ١٨١-١٨٢.

٩- طبقات المفسرين:

الرسول هو الطبقة الأولى[١]. والصحابة عشرة من الطبقة الثانية[٢]. وكل صحابى يعتبر نفسه هو العالم الأول. يجيب على كل سؤال. يعلم كل آية نزلت بليل أم بنهار، فى سهل أم فى جبل. وهى معلومات تاريخية لا أهمية لها فى التفسير المتجدد وبمصالح الناس المتغيرة. وآخر يقول أنه ما نزلت من آية إلا وعلم فيم نزلت وأين نزلت، وأن الله وهب له قلبا عقولا ولسانا مسئولا. وقال ثالث ما نزلت آية إلا وهو أعلم فيم نزلت وأين، وأنه لا يوجد أعلم منه وإلا كان قد ذهب إليه. وهو علم يقارب الغرور وإن لم يصل إلى حد الادعاء. ويتأكد ذلك بمباركة الرسول وأخباره وأحكامه وثنائه على صحابته. فهذا حبر هذه الأمة، حكم جبريل يكرره محمد. ويمتد نفس الثناء على التابعين. ويدخل معهم بعض الزهاد مثل الحسن البصرى. وهم نقلة عن الصحابة دون إبداع ذاتى من أنفسهم. وهنا تتحول علوم القرآن إلى علم التفسير قبل أن يستقل فى علم مستقل.

وفى الجزء الأخير من باب «طبقات المفسرين» وهو آخر باب فى «الإتقان» يظهر الرسول مفسرا أولا[٣]. وهو استعراض لما جمع من أقوال الرسول فى شرح بعض الآيات إجابة على أسئلة له من الصحابة على نحو طولى، من الفاتحة حتى الناس[٤]. لا يجمعها هدف واحد ولا رؤية واحدة، مجرد معلومات إضافية لمزيد من المعرفة بالآية وبعض ألفاظها المجهولة. فما مصدر هذه المعلومات؟ هل هى الوحى عن طريق جبريل أو الوحى المباشر أو الحدس أو المعلومات التى استقاها الرسول من خلال رحلاته عن الأمكنة والأزمنة من اليهود والنصارى وأمثال العرب وقصصهم قبل الإسلام أم آراء

---

(١) الإتقان جـ٤/ ٢٠٤-٢٥٩.

(٢) هم الخلفاء الأربعة، ابن مسعود، ابن عباس، أُبى بن كعب، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعرى، عبد الله ابن الزبير، السابق ص٢٠٤.

(٣) الإتقان جـ٤/ ٢١٤-٢٥٩ «وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبى من التفاسير المصرح بها برفعها إليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فإنها من المهمات»، السابق ص٢١٤.

(٤) ومجموعها ست وسبعون سورة.

شخصية فى موضوعات لا أهمية لها تخطئ وتصيب. وهناك معلومات خاطئة مثل اعتبار سام أبا العرب، وحام أبا الحبش، ويافث أبا الروم، هذه الشعوب المعروفة وقتها. وماذا عن الشعوب الهندية والأوروبية والآسيوية والأمريكية اللاتينية؟ وأحيانا يكون رأيا يحتمل الرأى الآخر. وأحيانا يكون التفسير حقيقة والأقرب المجاز.

وكثير منها موضوعات متعالية لا يُسأل ولا يجاب عليها خاصة بأمور المعاد والخلق والعرش[1]. يسهل تدخل الخيال فيها وتحويلها إلى خرافات.

وكثير من الروايات ضعيفة أو غير مرفوعة أو غريبة. ويحتاج التفسير إلى ابن خلدون جديد يحول منهج الرواية السبب الرئيسى فى أخطار المؤرخين إلى منهج المشاهدة والعيان المباشر ثم إلى منهج تحليل الخبرات الإنسانية الرصيد الأول للتفسير كما هو الحال فى علوم الذوق عند الصوفية. فليست مهمة الحديث إعطاء معلومات نظرية ظنية بل توجيهات أخلاقية وتفصيلات عملية[2]. وبنية معظم هذه الأحاديث ضعيفة إذ يكون الرسول هو السائل والإجابة من آخر عن تصور نظرى يخشى من وضعه على لسان الرسول[3]. ويكون السائل أحيانا يهوديا كى يوقع الإسلام فى روح اليهودية وتاريخها كما فعل بولص مع الإنجيل وتعاليم المسيح عند ما هوّد المسيحية[4]. وتتكرر عبارة «إسناده ضعيف» عدة مرات[5].

والتفسير فى غالبية حدثى تاريخى شيئى، وهو ليس المقصود من التفسير الأخلاقى العملى. وهو ليس قصد الآية المتجهة إلى الدلالة وليس إلى الواقعة، إلى المعنى وليس إلى الحدث. فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى. وهو تقييد للمعنى، وعناية بالمثل دون المثول.

---

(١) مثل ضرتان وطارق والذيال وذى الكيعان وذى الفرع ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصبّح والفيلق. الإتقان جـ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) «وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل»، الإتقان جـ٤/ ٢٠٧-٢٠٨ «فمقاتل فى نفسه ضعفوه»، «إن هذا الإسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة»، السابق ص٢٠٨.

(٣) وهو ما حدث فى الإنجيل أيضا عندما سأل المسيح بطرس «أتعرف من أنا؟ فأجاب: «أنت ابن الله الحى» حتى يخرج التثليث الموضوع على لسان غير لسان المسيح»، أنظر ظاهريات التأويل ص٢١٠-٢١٨.

(٤) الإتقان جـ٤/ ٢٢٩/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) «إسناده ضعيف» جـ٤/ ٢٤٠، «غريب جدا»، السابق ص٢٥١، «لا يصح رفعه»، السابق ص٢٥٧.

وصورة الرسول جديدة غير معروفة، الزهو بالنفس وتحديد المسجد الذى أُسس على التقوى بأنه مسجده وليس مسجد قباء، وتحول الرسول إلى شخصية مركزية محمدية كما حدث فى الإنجيل. وتحول محرروه من الأخلاق العلمية فى «المواعظ على الجبل» إلى شخص المسيح عند يوحنا وبولس[1].

ومعاضدة السنة للقرآن فى التفسير أحد العوامل الخارجية للتيقن من التفسير الداخلى الذى يعتمد على طبيعة النص ذاته وآليات التفسير[2]. فكل حديث إنما هو تفسير لآية. القرآن أصل، والحديث فرع. والقرآن أصول كلية والحديث فروع جزئية. القرآن أصول نظرية، والحديث تطبيقات عملية. القرآن عام، والحديث خاص. القرآن شامل لكل العصور، والحديث فى بعض تطبيقاته العملية أول تحقق فى التاريخ، فى الزمان والمكان والمجتمع[3]. الحديث وصف وتعيين وتصريح وبيان وتعريض وتفسير وتأويل وفهم وتصديق وتعبير وتحقيق وضرب أمثلة للقرآن.

وطبقة التابعين مجرد سرد لأسماء رجال دون وضع منهج أو وصف طريقة أو بيان مظاهر جديدة[4]. يتلوهم الطبرى. وتفسيره أجل التفاسير مع أنه مجرد امتداد لمنهج المؤرخين، لا فرق بين تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى فى المنهج والغاية والأسلوب[5].

وتتعدد مناهج التاريخ عند القدماء مثل الإخبارى الذى ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والإخبار عما سلف سواء كانت صحيحة أم باطلة مثل تفسير الثعالبى. وهو المنهج التاريخى، والفقيه يسرد الفقه من الطهارة حتى أمهات الأولاد مع أدلة الفروع والرد على المخالفين كتفسير القرطبى وهو المنهج الفقهى. والفيلسوف صاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة لدرجة البعد عن الآية مع التطويل فيها لدرجة الابتعاد عن التفسير مثل تفسير الرازى، وهو المنهج الفلسفى. والمبتدع يحرف

---

(١) ظاهريات التأويل ص١٦٠-١٧٤، ٢٥٠-٢٦٩.
(٢) البرهان جـ٢/ ١٢٩-١٤٥.
(٣) من النص إلى الواقع جـ٢ بنية النص ص١٣٩-١٩٠، ويعطى السيوطى حوالى خمسين مثلا على ذلك.
(٤) الإتقان جـ٤/ ٢١٠-٢١٤.
(٥) السابق ص٢١٢-٢١٤.

الآيات ويطبقها على مذهبه كما فعل الزمخشرى فى «الكشاف» فى تطبيقه التفسير على منهج الاعتزال. والمُلحد يكفر ويُلحد فى آيات الله، ويقوّل الآية ما لم تقله وهو ما تفعله بعض فرق المتكلمين مثل الرافضة. وهو ما سيتحول إلى علم التفسير كعلم مستقل من العلوم النقلية الخمسة مع القرآن والحديث والسيرة والفقه[1].

(١) السابق ص٢١٢-٢١٣.